

قاعة الجزيرة السورية في متحف حلب

وبدايات الحضارة الإنسانية



واجهة متحف حلب

تقع الجزيرة السورية في شمال بلاد الرافدين بين دجلة والفرات ، ولهذا سميت الجزيرة. ورغم أنها تضم منطقة واسعة مترامية الأطراف ، من الحدود التركية شمالاً ، والحدود العراقية شرقاً ، بما في ذلك محافظة الرقة وشمال محافظة دير الزور ، إلا أن تسمية الجزيرة تطلق غالباً على محافظة الحسكة الواقعة في أقصى شمال شرق سورية (٧٠٠ كم عن العاصمة دمشق).

وتمتاز هذه المنطقة بخصوبة أراضيها وكثرة خيراتها ، ما جعلها عرضة للغزو بين فترة وأخرى فاستوطنتها شعوب مختلفة في العصور القديمة ، مخلفة وراءها عدداً كبيراً جداً من التلال الأثرية الهامة ، التي تحوي بين طياتها الكثير من الكنوز الهامة ذات التاريخ العريق ، والتي تعود إلى فترات زمنية مختلفة موعلة في القدم.

وقد قام بالتنقيب في

”معبد العيون في تل براك فريد من نوعه في الشرق الأوسط“

بعض هذه التلال عدد كبير من علماء الآثار والمؤرخين ، منذ نهاية القرن الماضي وحتى الآن ، منهم البروفيسور ماكس. ي. ل. مالوان زوج الكاتبة البريطانية

الشهيرة أجاثا كريستي.. والذي قام بالبحث والتنقيب من عام ١٩٣٥-١٩٣٨ في عدة تلال منها تل براك وتل حطين وتل مفيش وتل جدلة.. والمكتشفات واللقى التي ظهرت في هذه التلال معروضة حالياً في قاعة الجزيرة السورية في متحف حلب ، وهناك العديد من القطع الأثرية الهامة ، معروضة في المتاحف البريطانية.

فما هي أهم مقتنيات قاعة الجزيرة ؟

معبد العيون

معظم المقتنيات المعروضة داخل الخزائن تمثل حضارات تل براك وتل حطين.. يقع تل براك على بعد ٤٣ كم شمال مدينة الحسكة (مركز منطقة الجزيرة السورية) ، محتلاً رقعة من الأرض بطول ٨٠٠ م وارتفاع ٤٣ م ، وقد عثر فيه على أحد أقدم المعابد الدينية في سورية ، والذي يعود تاريخه إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد.

ونظراً لكثرة اللقى التي اكتشفت فيه والتي لها شكل العيون ، سمي معبد العيون. وهو مبني على مرتفع من الأرض يبلغ ٦ م ، وكانت جدرانها حين اكتشافه لم تزال قائمة على ارتفاع ٣ م ، ويبلغ طول هذا المعبد ٣٠ م وعرضه ٢٥ م. وقد تم اكتشاف مذبح بارتفاع ١ م على الجدار الجنوبي داخل المعبد.. ويزين المذبح في قسمه الشمالي ومن أطرافه الثلاثة إطار مؤلف من أحجار متعددة الأنواع منها حجر كلسي رمادي مائل للزرقه ومرمر أبيض وحجر مائل للأخضر (الخزانة المعلقة رقم ١). وقد أضاف الفنان إلى الحجر الكلسي الرمادي ثلاثة صفوف من الدوائر الصغيرة النافرة والتي تعطي شكل الفسيفساء ، ويحد الإطار من الأعلى والأسفل شريطان من صفائح الذهب المثبتة بمسامير فضية مذهبة الرأس.

أما جدران المعبد الآخر ، فلم يبق من زخرفتها إلا بضع قطع من صفائح نحاسية تحمل رسم العيون على الجدار الشرقي وشريطاً من الحجر الكلسي الأحمر ، وزهرات مركبة من أنواع مختلفة من الحجر الرمادي والأبيض والأحمر على الجدار الجنوبي. (الخزانة المعلقة رقم ٢) وترمز الزهرة في عهود متأخرة إلى الربة السماوية عشتار .



خليل إقطيني

كاتب وصحفي بؤسسة الوحدة للصحافة والنشر

مدير مكتب صحيفة تشرين بالحسكة

الجمهورية العربية السورية

aya2006@scs-net.org

ممتازة في إضفاء روح الحركة على هذه الحيوانات ، وهذه القطع النحتية معروفة أيضاً في جنوب بلاد الرافدين ، ما يؤكد مرة أخرى الصلة الحضارية الوثيقة في الألف الرابع قبل الميلاد بين سكان جنوب العراق ، وسكان تل براك في مستهل فجر الحضارة السومرية .

أما نافذة العرض في الوسط ، فتحتوي مجموعة جيدة من الدمى الفخارية الملونة من عصر حضارة حلف ، واغلب الدمى تمثل امرأة عارية جاثية ممثلة الفخذين كبيرة الصدر ، رأسها صغير يكاد لا يظهر بوضوح. وقد خرج علماء الآثار من دراستهم لهذه اللقى بنتيجة هامة ، مفادها تأكيد الفنان على إظهار العضو التناسلي لدى المرأة وإبراز الصدر وتضخيم الفخذين ، ما هو إلا لأنها تمثل الإلهة الأم رمز الخصوبة والديمومة والحياة ، وهي تعود إلى فترة أقدم من أشكال العيون ، أي بداية الألف الخامس قبل الميلاد ، التي تسمى عصر حضارة حلف ، نسبة إلى أحد أهم التلال الأثرية في شمال سورية بالقرب من مدينة رأس العين على الحدود التركية. ولم تقتصر حضارة حلف على الجزيرة السورية فحسب ، بل امتد إشعاعها الحضاري ليشمل الشمال السوري كله ، بالإضافة إلى جنوب شرق تركيا والشمال العراقي والساحل السوري ، وستتوقف عند حضارة تل حلف العريقة والهامة في موضوع قادم.

في حين تعود الدمى الفخارية غير الملونة ذات البطن الكبير ، وبعض الدمى النحيفة التي تنتهي بقاعدة شبه أسطوانية ، إلى عهد أحدث ، ويمكن تأريخها في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد. ويمكن مشاهدة الأواني الفخارية التي تعود عصر حلف في نافذة العرض اليمنى من الخزانة رقم واحد ، وهي مصنوعة باليد وتتميز بألوانها الزاهية وزخارفها المتعددة على عكس الأواني ذات التربة المخضرة واللون الزخرفي الواحد التي تعود إلى عصر حضارة عبيد ، نسبة إلى تل عبيد بالقرب من مدينة أور الشهيرة جنوب بلاد الرافدين. وقد انتشرت صناعة هذا النوع من الفخار في بلاد الرافدين والدول المجاورة في نهاية الألف الخامس ق. م.

وفي نافذة العرض الوسط من الخزانة مجموعة أخرى من الأواني الأحدث عهداً من سابقتها ، حيث دخل الإنسان في هذه الفترة مرحلة الآلة (الألف الثالث ق. م) فالأواني مصنوعة بواسطة القرص الدوار أو الدائر ، وقد أضيفت إليها نقوش زخرفية بارزة فيما بعد ، تمثل الحية والعقرب رمز الحياة والخصوبة والاستمرار.

وفي القسم الأخير من الخزانة نرى نموذجاً آخر من الفخار الذي يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد ، حيث وجد هذا النوع بكثرة في منطقة الخابور مثل تل حطين ، ولهذا سمي خزف الخابور ، والشيء غير المألوف ضمن هذه المجموعة البسيطة الزخرفة ، وجود كأس على شكل وجه إنسان.

ومن الفخار العادي جداً والمستعمل يومياً لدى عامة الشعب ، توجد مجموعة تعود إلى الألفين الثالث والثاني ق. م في الخزانة رقم (٣). وتحتوي الخزانة الجدارية رقم (٤) نخبة من الأسلحة البرونزية والحجرية ، من رماح وسكاكين وفؤوس ورؤوس حجرية معظمها من تل براك وحطين ، وتعود إلى النصف الثاني من الألف الرابع (الرؤوس الحجرية) والألف الثالث قبل الميلاد .

ويعتقد مكتشف معبد العيون بوجود ثلاثة معابد أخرى ، وقد أسماها معبد العيون الرمادي ومعبد العيون الأبيض ومعبد العيون الأحمر ، ولكن لم ينقب أحد فيها حتى الآن. والبناء المرتفع الذي بنيت المعابد فوقه لم يتم دفعة واحدة وإنما خلال فترات متقطعة وطويلة المدى ، ونمط بناء المعبد بالإضافة إلى العناصر الزخرفية التي كانت تزيهه معروف جيداً في جنوب بلاد الرافدين ، ويعتقد بعض علماء الآثار بوجود اتصال حضاري واسع قوامه الشعب السومري ، الذي لم يظهر بعد على مسرح الحياة كتابياً.



إحدى خزائن العرض

وقد عثر المنقبون في الطبقة الرقيقة نوعاً ما في معبد العيون الرمادي على آلاف القطع الصغيرة ، ومئات الآلاف من الخرز المصنوع من الحجر والغريت ، وتماثم من الحجر والعظام والغريت معظمها على شكل حيوانات بالإضافة إلى المئات من القطع التي تمثل شكل العيون .

وفي خزانة الوسط رقم (٢) نرى نماذج من هذه الأشكال من الألباستر والفخار وأحجار أخرى ، تتألف من جسم رقيق منسبط ورقبة قصيرة تحمل زوجاً من العيون الكبيرة ، وبعض القطع تحمل فوق العيون تصفيقة شعر أو غطاء رأس مخروطي الشكل وبعضها الآخر لا يكتفي بزواج من العيون ، بل زوجين أو أكثر إلى جانب بعضها بعضاً أو فوق بعضها بعضاً. بالإضافة إلى قسم آخر يحمل رسماً آخر على مقدمة الصدر .

ومما لاشك فيه ؛ أن هذه الأشكال تمثل الإنسان مجرداً ، وتضع مركز الثقل في العيون لتلفت النظر إليها ، ولهذا نلاحظ التكرار والمبالغة في طريقة صنع العيون ، من هنا نجد أن المنقب كان محقاً بإطلاق اسم معبد العيون على هذا الاكتشاف الفريد والوحيد من نوعه في الشرق الأوسط .

آلهة ودمى وتماثم

أما نوعية الآلهة التي كانت تعبد داخل معبد العيون فلا يعرف عنها شيء. ومن اللقى المكتشفة يعتقد بعض العلماء بوجود آلهة متعددة كانت تعبد بفردتها أو مع شريك لها أو مع طفل. ومن القطع الجميلة الرائعة المكتشفة مع بقية الدمى التي ذكرناها رأسان بشريان ، الرقبة طويلة فيهما في غاية الدقة والوضوح.

نرى في نافذة العرض الأخيرة من الخزانة رقم (٢) مجموعة من الدمى الحيوانية والتماثم: أسود ودببة جاثية وأكباش وقناذ وضفادع وطيور بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الأواني الحجرية معظمها من الألباستر ، وكلا المجموعتين من عهد واحد. وقد أجاد الفنان بواقعية

” قطع أثرية متعددة تؤكد الصلة الحضارية الوثيقة بين سكان جنوب العراق وسكان تل براك في مستهل فجر الحضارة السومرية“





فخار خابوري

والهولندية في منطقة الغمر (تل حبوبه وتل عرودة) كشفت العديد من هذه الرقم الطينية التي لها شأن كبير في ميدان البحث العلمي اللغوي على الأراضي السورية. وقد تطورت فيما بعد فأضيفت إلى الأرقام رموز أخرى تعبر عن كمية المعداد ، وفي بداية الألف الثالث ق.م.

تحولت الكتابة المرسومة إلى كتابة مسماوية ، تستطيع أن تعبر عن أعقد المسائل الاقتصادية والاجتماعية ، سواء كان ذلك باللغة السومرية أو الأكادية ، حيث تعرض لنا الخزانة الموجودة وسط القاعة نماذج من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماوي المتطور من بداية الألف الثاني ق.م والتي عثر عليها في تل براك .

” الحفريات الأثرية كشفت العديد من الرقم الطينية التي لها شأن كبير في ميدان البحث العلمي اللغوي في المنطقة“



من مؤلفات الأستاذ/ خليل أخطبيني

- رحلة في تاريخ حوض الخابور .
- مدائن الخابور في الحسكة ودير الزور .
- مشروع الشرق الأوسط الجديد لماذا لبنان أولاً ؟

أختام من عصور مختلفة

في متحف حلب مجموعة جيدة من الأختام الأسطوانية والمسطحة من عصور مختلفة ، ووظيفة هذه الأختام إضفاء الشرعية القانونية في حالة البيع والشراء والاستملاك ، وكانت تطبع على الطين الطري قبل شيبه أو تجفيفه في الهواء الطلق. وأقدم طبغات أختام اكتشفت كانت على سدادات جرار فخارية أو كتل طينية ، وبدأت اكتشف الإنسان الكتابة وأدخل الرقم الطينية كمواد للكتابة ، بدأت الأختام تستعمل على وثائق اقتصادية في مختلف الشؤون كما تستعمل اليوم الأختام في الدوائر الحكومية. وأقدم شكل معروف للأختام هو الختم المسطح الذي أخذ أشكالاً لحيوانات مختلفة مثل الأسد والكبش والثور والنسر والبطة والسهم ، أو شكل إنسان جاث أو شكل كبد أو قلب. وبعد اكتشاف الكتابة والرقم الطينية تدهورت صناعة الأختام المسطحة وحلت محلها الأختام الأسطوانية ، وبقيت سائدة بضعة آلاف من السنين في دوائر دويلات الشرق القديم ولدى التجار.

ومنذ بداية الألف الأول ق.م عادت الأختام المسطحة تدريجياً للظهور ، وقد شاهدها هيرودوت أبو التاريخ خلال تجواله في المشرق حوالي منتصف القرن الخامس ق.م وذكر أن كل بابلي يحمل ختمه معه. وبعض الأختام الأسطوانية محلاة بالذهب في نهايتها ولها ثقب تعلق بواسطته حول الرقعة. وكل الأختام المعروضة في هذه الخزانة جاءت نتيجة حفريات ماكس مالوان في الجزيرة السورية ، وتمثل الطور الحضاري لهذه المنطقة ابتداء من حضارة حلف وانتهاء بالعصر البابلي المتأخر ، أي من الألف السادس حتى القرن الخام ق.م ، عاكسة بذلك التاريخ الغني لحضارات الشرق القديم عبر خمسة آلاف سنة على الأراضي السورية ، ويمكن لدارس الشرق القديم أن يستكشف الكثير عن الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية لتلك الشعوب من خلال الرسوم التي تعرضها هذه الأختام.

” الأختام المعروضة تعكس التاريخ الغني لحضارات الشرق القديم عبر خمسة آلاف سنة على الأراضي السورية“

وتحوي الخزانة رقم (٥) مجموعة منتقاة من العقود ذات حبات متنوعة الأشكال والمواد وهذا النوع من الحلي كما يتبين للمشاهد من خلال نافذة العرض لا زمني أي إنه لا يخضع لمقاييس التجديد والتطوير ، ولذا فمن الصعب إعطاء تاريخ زمني محدد له إذا لم تكن الطبقة التي يكتشف فيها معروفة جيداً ، وبالنسبة للمعروض في الخزانة يعود تاريخه حسب طبقته المكتشف فيها إلى النصف الثاني من الألفين الرابع والثالث ق.م.

رقم طينية ذات شأن كبير

وباكتشاف الكتابة دلف الإنسان عتبة التاريخ ، وكانت البداية بسيطة ورمزية أبدعتها الحاجة الاقتصادية لأولى المجتمعات الإنسانية البدائية. وكانت عبارة عن أرقام تسطر على الطين الطري بوساطة أقلام من القصب. وأقدم لوح كتابي من هذا النوع اكتشف على الأرض السورية في مدينة ماري المشهورة ، ولكن حفريات البعثتين الألمانية